العلاقات الاقطاعية الكلاسيكية . كما كان جزء كبير من الارض يقع خارج نطاق السيطرة الفردية وعملية البيع والشراء اذ كانت هذه الاراضي « مشاعا » او ملكا جماعيا **للقبيلة** او القرية او « الحامولة » او « العيلة » . غير ان هذا النظام الاقتصادي السياسي بدأ في التفكك في اواخر القرن الماضي نتيجة للتغيرات المتمثلة في التنظيمات الجديدة ، التي فرضتها السلطات التركية على سكان الامبراطورية ومنهم اهالي فلسطين العرب. فبناء على نظام « الالتزام » الجديد اصبحت الضرائب تجبى نقديا من المحاصيل بعد ان كانت تقتسم عينا . كما استفادت الطبقات العليا في المجتمع من قانون الضرائب الجديد الذي ألغى نظام الملكية الجماعية (المشاع) ونص بتسجيل الاملاك الارضية على اساس فردي . فبدأ افراد الطبقات والفئات العليا بتسجيل الاراضي باسمائهم معتمدين في هذا على خوف الفلاح العادي من زيادة الضرائب ومن التجنيد الاجباري . كما قامت السلطات وكبار التجار والمرابين بالاستيلاء على اراضي الفلاحين اللذين عجزوا او تأخروا عن تسديد ديونهم وفوائدها الباهظة . ولما كانت عمليات الفرز والتسجيل هذه تكلف مبلغا يفوق طاقات قسم كبير من الفلاحين فقد لجأ بعض هؤلاء الملاكين الى بيع اراضيهم او جزء منها الى التجار والوجهاء . وهكذا بأت نظام الالتزام وسيلة لتجريد الفلاح من أرضه في حين ساعد قانون الاراضي الجديد على بلورة طبقة من ملاك الاراضي الكبار . لقد كان لهذه التطورات وغيرها من التحولات وقع هام على حياة الفلاح الفلسطيني . فتطور الملكية الفردية ادى الى تغلل نمط جديد من العلاقات الاجتماعية والاقتصادية داخل الريف الفلسطيني بحيث تغيرت نوعية العلاقة القائمة بين الفلاح والارض واجبر المزارع على العمل ضمن سوق تجارية رأسمالية. كما وعملت هذه التحولات على خلق طبقة جديدة من العمال الزراعيين لانها جعلت من الفلاح المستملك اجيرا عند اصحاب الارض الجدد ، فالارض التي كانت تربط الفلاح بقريته وتحدد له اسلوب حياته سلبت منه لتصبح ملكا لطبقة ضيقة من الوجهاء والتجار واصحاب رؤوس الاموال الاخرين . وقد رافقت هذه الظاهرة بدايات ظاهرة اخرى وهي هجرة الفلاحين المعوزين الى المدن التي بدأت تنمو في فلسطين في ذلك الوقت ، كما توجه عدد اخر الى شرق الاردن للعمل في اراضي شيوخ القبائل هناك . وبدخول فلسطين في نطاق السوق الرأسمالية العالمية نشطت عملية التصدير الى الخارج وخاصة زراعة الحمضيات التي كانت متطورة في فلسطين (وخاصة مدينة يافا العربية) منذ بداية العقد الثامن من القرن الماضي (كان في يافا آنذاك حوالي ٤٠٠ بستان مساحتها ٣٦٨ هكتارا) . وقد سارعت هذه الحركة في تحسين وسائل الانتاج وادخال الالات الحديثة في الزراعة كالمضخات الآلية التي اصبح تعدادها بالالاف عام ١٩٠٧ . وبهذا يمكننا القول ان الفترة الواقعة ما بين بداية الربع الاخير من القرن الماضي حتى نهاية الحرب العالمية الاولى شكلت بداية لتحولات هامة في اوضاع الزراعة والفلاحين في فلسطين العربية.

الاستعمار المزدوج : البريطاني ــ الصهيوني :

وفي هذه الفترة بالذات بدأت الحركة الصهيونية العالمية بالاهتمام بشكل جدي وعملي بتنفيذ مشروعها الاستعماري ــ الاستيطاني الهادف الى تهويد فلسطين بخلق دولة صهيونية فيها . ولما كانت الصهيونية غير قادرة على الاعتماد على قواها الذاتية لتنفيذ مشروعها الاستيطاني هذا كان لا بد لها من البحث عن قوة استعمارية كبرى تتعهده . فقد كان واضحا ان الهجرة الصهيونية وعملية الاستيلاء على الاراضي لن تتما الا بالقوة وضد ارادة سكان البلاد العرب . ولهذا نجد ان هرتزل، مؤسس الصهيونية السياسية الحديثة كان قد اتصل منذ عام ١٨٩٦ وحتى وفاته في ١٩٠٤ بسبع دول اوروبية عارضا على كل منها تحالف الحركة الصهيونية معها بما يخدم مصالحها الاستعمارية ، واقترح هرتزل ان تشكل الدولة اليهودية في فلسطين بقعة من اوروبا ضد اسيا تكون حسب تعبيره « مركزا اماميا للحضارة ضد البربرية » . فبعد محاولة التقارب الصهيوني ــ الالماني كثفت الصهيونية اتصالاتها مع بريطانيا وخاصة بعد اندلاع الحرب العالمية الاولى لسبب واحد وهو كون بريطانيا ، بحكم كونها قائدة حركة الاستعمار العالمي وبحكم حجم مصالحها في المنطقة العربية ، القوة المؤهلة لرعاية مشروع الدولة الصهيونية في فلسطين . فكان صدور وعد بلفور عام ١٩١٧ والذي تعهدت بموجبه بريطانيا انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين . وبصدور هذا الوعد وباحتلال القوات البريطانية لفلسطين بدأ تنفيذ المشروع الاستيطاني الصهيوني بالقوة وتحت حراسة الاستعمار